﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: 25]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

معرفةُ علمِ الله بالنّفوس طريقُ الإخلاص

بعد بيانِ الآيات السّابقةِ واجبَ البرِّ والإحسانِ بالوالدين، وجعلَ خاتمةِ الإرشاد بالدُّعاءِ لهما، وهو الفعلُ الّذي يخلدُ فيه الإنسانُ إلى نفسِه، فيدعو فيه اللّهَ تعالى بما شاءَ من أنواع الدُّعاءِ، فناسبَ أن يذكرَ علمَ اللّه تعالى بخفايا النّفوس، الّتي لا يعلمُها إلّا هو، فمَن كانَ صالحًا فاللّهُ أعلمُ بصلاحِه، وهو يَغفرُ له تقصيرَه، وحسُنَ التّنبيه على الخفايا لِما يكونُ في البرِّ الظّاهرِ أمام النّاسِ من استجلاب الرّياءِ، فمُناسبةُ الآيةِ لِما قبلَها توجيهُ العباد إلى أن يكونَ إحسانُهُم للّه تعالى خالصًا.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَٰلِحِينَ﴾: جذرُ الكلمة هو (صلح)؛ الصَّلاحُ: يدلُّ على خلاف الفسادِ[1]، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: 56]؛ وهما مُختَصّان في أكثر الاستعمالِ بالأفعال، وقوبِلَ في القرآن تارةً بالفساد، وتارةً بالسّيّئةِ، قال تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التّوبة: 102][2]، ومعنى ﴿صَٰلِحِينَ﴾ أي: في طاعاتِكم وإقبالِكم على اللّه تعالى.

2) ﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾: جذرُ الكلمة هو (أوب)؛ وهو الرّجوعُ، آبَ فُلانٌ إلى سيفِه؛ أي: ردَّ يَدَه ليَستَلَّهُ، والفَعلَةُ الواحدةُ تَأويبَةٌ، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [الغاشية: 25]، والمَآبُ: المَرجِعُ، والأَوبُ: النّحلُ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلح).
(2) الرّاغب، المفردات: (صلح).

وذلك أنّها تَؤوبُ مِن مَسارِحِها[1]، والتّأويبُ: التّسبيحُ في قولِه تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: 10]، والتّائِبُ أوّابٌ[2]، وهذا هو المعنى المُرادُ في الآية[3].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

علمُ الله تنبيهٌ للمُرائين وإرشادٌ للأوّابين

وخَتَمَ سبحانَه هذه الآيات الّتي سَمَتْ بمَنزِلةِ الوالدين، بما يدلُّ على كمال علمِه، وعلى التّحذير مِن عقابِه، فقال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾؛ أي: ربُّكُم - أيُّها النّاس - أعلَمُ بما في نُفوسِكم، وضمائرِكُم، سواءٌ أكان خيرًا أم شرًّا، وسواءٌ كنتُم تُضمِرون البِرَّ بآبائِكم أم تُخفونَ الإساءةَ إليهما، ومع ذلك فإنّكم إنْ تكونوا صالحين؛ أي: قاصدين الصّلاحَ والبِرَّ بهما، والرّجوعَ عمّا فَرطَ منكُم في حقِّهما أو في حقِّ غيرِهما، فاللّهُ تعالى يَقبَلُ توبتَكم، فإنّه سبحانَه بفضلِه وكرمِه كان للأوّابينَ - أي: الرّجاعينَ إليه بالتّوبة ممّا فَرطَ منهم - غفورًا لذنوبِهم[4].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### بلاغةُ التّذييل:

التَّذكيرُ بعلم اللهِ يُناسبُ اختلافَ أحوالِ المأمورين

الآيةُ بمُجملِها تذييلٌ لآية الأمرِ بالإحسان بالوالدين وما فَصَّلَ فيها، وما يَقتضيهِ الأمرُ مِنَ اختلاف أحوالِ المَأمورين بهذا الأمرِ قبلَ ورودِه؛ بينَ موافِقٍ لِمُقتضاهُ، ومُفرِّطٍ فيه، ومِنَ اختلاف أحوالِهم بعدَ ورودِه مِن مُحافِظٍ على الامتثالِ، ومُقصِّرٍ عن قصدٍ أو عن بادرةِ غَفلَةٍ[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أوب).
(2) ابن فارس، مجمل اللّغة: (أوب).
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/ 461.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 328.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 74.

### نكتةُ الالتفات:

شـمـولُ رقـابـة الـلـه تـعـالى لجميع الطَّاعاتِ

انتقلَ الخطابُ مِنَ المُفردِ إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾؛ "لأنّ هذا يَشترِكُ فيه النّاسُ كلُّهم، فَضميرُ الجمعِ أنسَبُ به"[1]، وليشمَلَ الأمرَ بالبرِّ وغيره من أنواع الطّاعات والقُربات.

### دلالةُ الاستئناف:

إيـجـازُ وصـف أحوالِ المُخاطَبين

بعد أن ذَكَرَ في الجملة السّابقة التَّوجُّهَ إلى اللّه في سؤال الرّحمةِ بعنوان الرّبوبيّةِ، أَتبعَ هنا لفظَ الرّبوبيَّةِ بطريق الإخبارِ استئنافًا فقال: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾؛ لبيانِ علم اللّهِ تعالى بالأنفس فاستأنَفَ؛ لأنّها توجِزُ حالَ المُخاطَبين، فجميعُهُم مُخاطَبٌ بما ذَكَرَ مِنَ الأمر ببرِّ الوالدين.

### دلالةُ تقديم المُسند إليه مضافًا إلى الضّمير:

رقـابـةُ الـلـه على الـعـبـادِ تنبيهٌ وتحذيرٌ

المُسندُ إليه المُضاف ﴿رَّبُّكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ يتضمَّنُ تعظيمَ شأن المُضاف[2]، وفي إضافتِه إلى ضمير المُخاطَبين دلالةٌ على الرّقابة عليهم، وأنَّه يعلمُ كلَّ ما يصدرُ عنهم وما يَخفى، فأفاد التَّنبيهَ والتَّحذيرَ بعد الأمر والإرشاد.

### فائدةُ إتيان المُسندِ بصيغة أفعل:

التَّعريضُ بمَن يُخفِي في نفسِهِ قُبحَ الأخلاقِ

أفادَت صيغةُ أفعل التّفضيل في قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ التّعريضَ بالمُخاطَبين الّذين يَظنّون أنّهم قد أخفوا ما في نفوسِهم من رغبةٍ في التَّخلُّص مِن مَشاقِّ الوالدين، أو كرهِهما خِدمتَهُما والعملَ تحتَ أمرَيهما؛ أي: إنْ كنتُم تظنّون أنَّكم تُخفون خبيّاتِ النّفوس فاللّهُ أعلمُ بما فيها.

### معنى حرف الجرِّ (الباء) ودلالتُه:

علمُ الله بدقائق النّفوسِ

معنى حرف الجرِّ الباء في قولِهِ تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 75.
(2) المراغيّ، علوم البلاغة، ص: 121.

﴿نُفُوسِكُمْ﴾ الإلصاقُ، فدلّ على معرفةِ اللّهِ بدقائقِ ما في النّفوس، وما يجولُ فيها من أفكارٍ خافيةٍ على النّاس لا يُصرِّحُ بها صاحبُها، ولا يَكشِفُ أسرارَه للنّاس، لكنّ اللّهَ تعالى يعلمُ السِّرَّ وأخفى.

### إيثارُ التّعبير بالاسم الموصول:

علمُ الله بعُموم ما في النّفوس

تقعُ (ما) على ذواتِ ما لا يَعقلُ، وعلى صفات مَن يَعقلُ، والاسمُ الموصولُ يوصِلُ بكلامٍ بعدَه هو من تمامِ مَعناه، فهي أسماءٌ ناقصةُ الدّلالةِ لا يتّضحُ معناها إلّا إذا وُصِلَت بالصّلة، فلمّا قال: ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ عُلِمَ أنَّ المَقصودَ هو خواطرُ النّفس، وما يُحدِّثُ الإنسانُ به نفسَه، وغرضُ التّعريف بالاسم الموصول (ما) إرادةُ عُمومِ ما يجولُ في النّفوس من خواطرَ حسنةٍ أو سيّئةٍ.

### نكتةُ إيثار حرفِ الظَّرفيَّةِ دون الباء:

النّفسُ مُستودعٌ خفيٌّ للأفكار، واللهُ عليمٌ بمَضامينِها

آثرَ النَّظمُ استعمالَ حرف الظَّرفيَّة في قوله تعالى: ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ دون أن يقولَ: (بنفوسكم)؛ لدلالته على الظّرفيّة المكانيّةِ المجازيّة؛ فجُعِلَت النّفسُ مُستودعًا للأفكار ومُحادَثاتِ النّفسِ الخفيّةِ غيرِ المُعلَنَة، الّتي لا يعلمُها النّاسُ، فصارَت النّفسُ وعاءً لتلك الأفكار، وهي على خلاف حرف الباءِ الّتي تفيدُ معنى الإلصاق في عُموم أحوالِها، فلو قالَ: (بنفوسكم) لأفاد التّنبيهَ على كوامنِ النّفسِ الإنسانيّةِ من خصائصَ وطباعٍ، دونَ ما يجولُ فيها، ولمّا أفادَ ما أفادَهُ حرفُ الجرّ ﴿فِي﴾ مِنَ الاحتواء لتَجوالِ الأفكارِ وتردُّدِها فيها، وقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ يشمَلُ جميعَ أحوال النّفوس، وجمعَت مع إيجازِها تيسيرًا بعدَ تَعسيرٍ، مَشوبًا بتَضييقٍ وتَحذيرٍ؛ ليكونَ المُسلمُ على نفسِه رَقيبًا[1].

### غرضُ ذكرِ فعل ﴿تَكُونُواْ﴾:

عَبَّرَ النَّظمُ بفعل الكونِ في قوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾، وآثرَهُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 75.

على أن يقولَ: (إنْ تَصلُحوا)؛ فقد أفادَ التّعبيرُ القرآنيُّ: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ الاهتمامَ بالمُستقبل مِنَ الزّمان، وفي هذا التّعبير ما فيه مِنَ التّشويق إلى الإصلاح في العمل الّذي سيكونُ سببًا للعفو والصّفح مِنَ اللّه تعالى، فيكونُ في العبارة دعوةٌ إلى إصلاح النّيّة، يعني: إنْ تكُنِ النّيّةُ صادقةً ببِرِّ الوالدِ فإنّه غفورٌ لتلك البادرةِ[1]، وممّا يقعُ مِنَ الأخطاء والتّقصير في حقِّهما، فالفرقُ بين قوله: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ وبين (إنْ تَصلُحوا) هو دلالةُ نظم الآيةِ على صلاح الذّاتِ والنّيّة أوّلًا، ثمّ يأتي العملُ، أمّا (إنْ تَصلُحوا) فتدلُّ على صلاح العملِ، وأمرٍ آخرَ وهو اتّصافُ المُخاطَبين بالصَّلاحِ على الدَّوام بما يكونُ من شأنِهم ودَيدَنِهم.

رقـابـةُ اللـه لصلاح العبادِ في شأنِهم كلِّه شـامـلًا النّـيّـةَ والعملَ

### نكتةُ تقديم المجرور:

قُدِّمَ المجرورُ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ على خبر كان ﴿غَفُورًا﴾ للاهتمام، فقد استحقَّ الأوّابون المغفرةَ مِنَ اللّه تعالى، ونكتةُ التَّقديمِ إلهابُ الأوّابين طلبَ المَغفرة والرَّحمة مِنَ اللّه تعالى، بحسن الرُّجوعِ والاستغفارِ والتّوبةِ إليه سبحانَه.

تحفيزُ العبادِ إلى الاستغفار مُـعـيّنٌ عـلى الاستكثار

### بلاغةُ الاحتباك الجامعِ بين الصّفات:

جاءَ ذكرُ صفة الأوّابين في جملةِ جواب الشَّرط في قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾؛ ومُقتضى الظّاهرِ أن تُذكرَ صفةُ الصّلاح، بأن يُقالَ: (فإنّه كان للصّالحينَ غفورًا) بناءً على جملة الشّرطِ ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾، ونكتةُ ذلك أنّ العبارةَ صيغَت على طريقة الاحتباكِ، والتّقديرُ: (إنْ تكونوا صالحينَ أوّابينَ إلى اللّه فإنّه كان للصّالحين الأوّابين غفورًا)؛ لبيانِ أنَّ الصَّلاحَ لا يعني تركَ الأوبةِ إلى اللّه تعالى، وأنَّ الأوّابَ طالبُ غفرانِ الذّنوبِ، يقعُ في المَعاصي، ثمّ يَرجعُ عنها.

لا صـلاحَ بلا أوبـةٍ، ولا أوبـةَ بلا استغفارٍ

(1) السّيوطيّ، الإكليل، ص: 167.

### بلاغةُ التّذييل:

الأوبـةُ إلى الله تـعـالى أمـارةُ الصّلاح وبرهانُ الفلاح

لمّا شَمَلَ الصّلاحُ جميعَ ما سَبَقَ ممّا أَوصى اللّهُ به الأبناءَ وجوبًا عليهم تجاه الوالدين؛ فقد ذيَّلَهُ هنا بوصف الأوّابين المُفيدِ بعُمومِه معنى الرّجوعِ إلى الله؛ أي: الرُّجوعُ إلى أمرِه وما يُرضيه، وهذا يَعُمُّ كلَّ مَن فرطَت منه جنايةٌ، وبهذا العموم كانَ تذييلًا لِما قد سبقَ مِنَ الصّلاح[1].

### نكتةُ المبالغةِ في استعمال صيغة (فعّال):

الأوّابُ كثيرُ الرّجوع بمراجعة نفسِه وتقصيرها

آثرَ النَّظمُ استعمالَ صيغة (فعّال) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ و(الأوْبُ) يكونُ مُطَّرِدًا، ويكونُ مُعرَّضًا للتّقصيرِ والتَّفريطِ، فيقتضي ذلك التّوبةَ والرّجوعَ والنّدمَ، وكلُّ ذلك (أوْبٌ)، وصاحبُهُ آيبٌ، فَصيغَ له مِثالُ المُبالغةِ (أوّابٌ)؛ لِتوافُقِ قوّةِ الوصفِ وكيفيَّتِه، وتناوبِ الحالةِ، فالمُلازِمُ للامتثالِ لأمرِ الله في سائرِ الأحوالِ، المُراقِبُ لنفسِه، (أوّابٌ) لشدّةِ مُحافظتِه على الأوبَةِ إليه، والمغلوبُ بالتّفريط يَؤوبُ كلّما راجعَ نفسَهُ وذَكَرَ ربَّهُ، فهو أوّابٌ لِكثرةِ رجوعِهِ إلى أمرِ ربِّه[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 75.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 75.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»